قال ما خلق الله وما ذرأه وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول
وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير
ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزله ورواه البغوي
في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد
غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه
بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال
القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه
يجوز لنا ان نحلف بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه
وسلم ينعقد يمينه وتجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم
احد ركني الشهادة وقال ابن خويز منداد واستدل من جوز الحلف
به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه
وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا
اذا جاء صاحبه قال احلف لي بحق صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد
الاية اقسم تعالى بالبلد الامين وهي مكة ام القرى وهو بلده عليه الصلاة
والسلام وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله
واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قاله البيضاوي ثم اقسم
بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم

وسلم وعلى هذا فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد به آدم
وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله
على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم وفيهم الانبيا
والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل من في الارض من مخلوق خلق لاجلهم
وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة
ومرجع العباد الى ادم وقوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن
اقسامه تعالى بحياته ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع
واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا
لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل قتلك
واخراجك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش وقد استحل
فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وانت
حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه
مكة واهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شا وحرم ما شا فقتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه
السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت
في اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه
قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى
كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه الصلاة والسلام ولا يخفى ما فيه
من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله

Copyright © King Saud University